Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

متنزها، وجمعت رجائي سالياً، وادرعت الصبر مستمراً ولبست العفاف ضنا، واتخذت الانقباض صناعة، وكنت بالعلاء مجتهداً.

هذا. بعد أن تصفحت الناس فوجدتهم أحد رجلين: رجلا إن نطق نطق عن غيظ ودمنة، وإن سكت سكت عن ضغن وإجنة، ورجلا إن بذل كدر بامتنانه بذله، وإن منع حسن باحتياله بخله، فلم يطل دهري في أثنائه متبرجاً بطول الغربة، وشظف العيش، وكلب الزمان، وعجف المال، وجفاء الأهل وسوء الحال، وعادية العدو، وكسوف البال، متحرقاً من الحنق على ليئمم لا أجد مصرفاً عنه، متقطعاً من الشوق إلى كريم لا أجد سبيلاً إليه[1].

* * *

التعليق

في هذه المقتطفات، نحس بصفة عامة جمال الازدواج، وحسن الإيقاع، كما نحس انغام الموسيقى الهادئة بين الفينة والفينة، فضلاً عن جمال التقسيم ودقة الترتيب.. وفي بعضها دعوة صريحة إلى ما دعا إليه الجاحظ من المراوحة بين الجد والدعابة، كما في رسالة الجرجاني الجامعة؛ بالاستيفاء والاستقصاء وكمال التفريع، وفي بعضها الآخر من دقة التحليل والتعليل ما هو بأسلوب الجاحظ أشبه، كما في رسالة الصولي... أما رسالة أبي حيان فما أظهر ما بها من توليد المعاني واستقصائها وتسلسلها تسلسلاً منطقياً يسلمك بعضه إلى بعض في هدوء واطمئنان... ألا تراه يقول: (أقول وخير القول ما عقد بالصواب، وخير الصواب ما يضمن الصدق، وخير الصدق ما جلب النفع، وخير النفع مع تعلق بالمزيد... وهكذا حتى يصل بك إلى ما يريد، بأسلوب مسلسل محكم الربط وثيق الحلقات.. ومن ثم تظهر بلاغة هذه المدرسة في النواحي العلمية، والمواقف الجدلية. التي تطلب دقة الألفاظ تبعاً لدقة المعنى. من أجل هذا رأينا لها انصاراً يصطنعون أساليبها في القرنين الرابع والخامس، على الرغم مما سادهما من موجات السجع والبديع؛ بل إن من عشاق السجع - في عصر

---

(١) المقابسات ط الرحمانية/١٠٥